

١٢- الشيخ إبراهيم بن حمد بن عبد الله بن جاسر

(١٢٤١هـ - ١٣٣٨هـ)

الشيخ إبراهيم بن حمد بن عبد الله بن جاسر . وُلد في بلدة بريدة سنة ١٢٤١هـ، ونشأ فيها وقرأ القرآن وجوّده، ثم حفظه عن ظهر قلب، وشرع في طلب العلم بهمة ونشاط ومثابرة، فقرأ على علماء بريدة وما حولها، ومن أشهر مشايخه: الشيخ محمد بن عمر بن سليم، والشيخ محمد بن عبد الله بن سليم، وكلاهما من كبار قضاة بريدة، كما أخذ عن الشيخ حسن الشطي في دمشق، وأكثر من أخذ عنه الشيخ إبراهيم بن محمد بن عجلان وقرأ على غيرهم، كما أنه أدرك زمن الفقيه قاضي بريدة الشيخ سليمان بن علي بن مقبل إلا أنه لم يقرأ عليه لأنه كان يسيء الظن في معتقده، فلما انكشف له الأمر وتبين له خلاف ذلك تأسف على ما فاتته من تلقّي العلم عنه .

والقصد أن المترجم أدرك في العلوم، لا سيما في التفسير والحديث واللغة العربية، فهو فيها بحر لا يجارى وعالم لا يمارى، واشتهر أمره وذاع صيته حتى عدّ من كبار علماء نجد، وكان على وفاق

تام في أول أمره مع علماء بلده آل سليم إلا أنه حدث الخلاف بينهم آخر الأمر، فصارت مدينة بريدة حزبين حزب مؤيد لآل سليم وحزب مؤيد لآل جاسر، وليس بينهما ما يوجب الخلاف والنزاع والفرقة^(١)؛ ولكنه غلبة الهوى ووشاية الأعداء وجهلة أتباع الطرفين.

ثم سمت همته فرحل للتزود من العلم، فسافر إلى الشام، فقرأ في صالحة دمشق، وفي الجامع الأموي، ولازم علماء الحنابلة هناك، وممن لازمهم آل الشطي، فدخل بيتهم الذي كان معموراً بالتدريس في مذهب أحمد، وتعرف دارهم بدار الشطية، ثم انتقل إلى نابلس فقرأ على أعيان الحنابلة فيها، ثم عاد إلى القصيم يحمل مشعلاً من العلم والمعرفة في الفروع والأصول، وخصوصاً في علم الحديث ومصطلحه ورجاله، ويقال: إنه كان يحفظ الصحيحين.

وأثنى عليه كبار علماء زمانه بسعة علمه واطلاعه وحفظه واستحضاره وورعه.

وكما اشتهر بالعلم وسعة الاطلاع عُرف أيضاً بالعطف على الفقراء والمساكين ومواساة المعوزين ولو بثوبه الذي يلبسه فصار له بهذا محبة ومودة، وشاع له ذكر حسن وثناء طيب.

قال الشيخ المؤرخ إبراهيم بن عبيد: كان متواضعاً ذا عطف على

(١) كان هذا الخلاف وتلك الفرقة قبل قيام الإمام عبد العزيز آل سعود واستيلائه على الملك وتوحيده الجزيرة العربية، أما بعد ذلك فعدمت هذه الخلافات وزالت وصار الجميع إخواناً متحابين والله الحمد.

الفقراء والمحتاجين، فكان يتصدق بما يجد، ويواسيهم من ضروراته مع قلة ذات اليد عنده.

قلت: وما قاله الشيخ ابن عبيد عن المترجم هو المشهور عنه، والمتواتر من أعماله رحمه الله.

* أما ما يقوله بعض الجهال والأعداء عن تساهله في توحيد الألوهية وعدم تحقيقه فهو كذب مفترى.

فإن نجداً بعد ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب — رحمه الله — صارت عقيدة أهلها واحدة في تحقيق التوحيد بأنواعه الثلاثة، وبُعدهم عن البدع والخرافات، وإذا كان هناك خلاف بين هذين الحزبين فهو جسارة حزب في إطلاق الكفر على بعض الطوائف وتورع الحزب الآخر عن ذلك، وتترتب على هذه المسألة السفر والإقامة في بلد هؤلاء المختلف في تكفيرهم، فمن كفرهم حرم السفر والإقامة في بلادهم، ومن سكت عنهم لم يمنع من ذلك، ومع تزايد الخلاف وعدم الحكمة فيه امتد إلى الخلاف على المسائل الفرعية كصوم يوم الشك في رمضان.

والدليل الثاني على كذب هذه الفرية على الشيخ المترجم: هو أنه من أهل القرآن والحديث، وهؤلاء هم أبعد الناس عن الاعتقادات الفاسدة.

ولذا فإنه لما شرع في القراءة على العامة بعد صلاة العصر في صحيح البخاري أشار عليه بعض أهل العلم من المتقيدين بالمذهب

والفروع الفقهية بأن يبدل البخاري بمتن «دليل الطالب»، فأخذ المترجم في البكاء والتعجب من هذه المشورة ومن صاحبها.

والدليل الثالث على صحة معتقده: أنه دخل المسجد الحرام أيام الحكم العثماني فوجد حلق الصوفية تمارس بدعها وخرافاتهما فلم تمنعه غربته ولا إقرار حكومة البلاد لهذه الأعمال من أن يسطو عليهم بعصاه ضرباً حتى فرقهم، فرفع أمره إلى أمير مكة المكرمة الشريف عون، فلما حضر وحقق معه عرف أن الصواب مع الشيخ، فمنع هذه الأعمال البدعية.

والدليل الرابع على صدقه: ما حدثني به الثقات من أقاربي ممن حضروا القصة الآتية:

قال: عرض على المترجم إمامة وخطابة (جامع النقيب) في بلد الزبير براتبٍ مغرٍ — قدره اثنا عشر جنيهاً — وكان في أمس الحاجة إليه، فذهب إلى الجامع المذكور ليراه ومعه بعض أفراد أسرتنا (آل بسام) فدخل المسجد وتجول فيه، فرأى حجرة في مؤخر المسجد فسأل عنها فقالوا: إنها قبر بانيه، فخرج من المسجد مسرعاً وقال: لا أصلي ولا فرضاً واحداً مأموماً، فكيف أصير فيه إماماً، هذا مع حاجته الماسة إلى راتبه.

والدليل الخامس: أن دروسه في عنيزة غالبها بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وهي كتب لا يأنس بها ويحبها إلا محقق في عقيدته.

وقد حدّثني أحد تلاميذه وهو الشيخ عبد الرحمن السعدي بعنيزة أنه كان يدرس للطلبة في - المنهاج - لشيخ الإسلام ابن تيمية في بريدة، فقرأ القارئ أمام الدرس كلام المعارض - ابن المطهر - وأخذ القارئ يسرد أقواله في الرفض والضلال، فما انتبه الطلبة إلّا على بكاء الشيخ ونشيجه وترحمه على شيخ الإسلام، فلمّا سكن قال: أيها الإخوان لو لم يقيض الله لهذا الطاغية وأمثاله مثل هذا الإمام الكبير، فمن الذي يستطيع الرد والإجابة على هذه الحجج والشبهات، وهذا التأثير وقع منه غير مرة.

وممّا يؤيد ما قاله الشيخ ابن جاسر قول السيد الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه «الحافظ ابن تيمية» قال:

كان الشيعة يعترضون بهذا الكتاب ويظنون أن الرد عليه مستحيل، ولكن من حظ المسلمين أن قيّض الله في ذلك الزمن الذي أُلّف فيه هذا الكتاب عالماً يعتبر أمير المؤمنين في الحديث في عصره، وقد عني بالرد عليه ذلك الرجل، وأدّى فرض الكفاية عن الوقت بالرد عليه. اهـ.

والدليل السادس: ما حدّثني به الوجيه الشيخ محمد حسين نصيف^(١) - رحمه الله - قال: جاءني الشيخ إبراهيم بن جاسر وطلب

(١) هو الشيخ محمد بن حسين بن عمر بن عبد الله بن أبي بكر نصيف. من أعيان وجهاء الحجاز ومن بيت عريق في الفضل والكرم، ولهذا البيت مكانة كبيرة عند حكام الحجاز السابقين واللاحقين.
أما الشيخ محمد على وجاهته، فقد اشتغل بالعلم وجمع مكتبة ضخمة جعلها وقفاً =

مني أن أذهب معه إلى الشريف الحسين بن علي، فقلت له، ما الغرض من ذلك؟ فقال: نريد أن نتكلم معه بأمرين: الأول: أن يخفف الضغط عن أهل نجد المقيمين في مكة وجدة، والثاني: ليزيل بعض الأعمال الشريكة المنافية للشرع، فقلت: إن الشريف الآن معادٍ لابن سعود وأخشى أن يبدر منه ما لا يحسن، فقال الشيخ: أنا لست الآن من المقربين عند ابن سعود، فقلت له: إن الشريف لا يعرف هذا. فشنته عن عزمه. اهـ.

والذي نقوله الآن ما قاله الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

= على مكتبة جدة العامة، وللشيخ محمد نصيف مقام كبير عند الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله، وعند أبنائه وعند خاصه الناس وعامتهم، فيبته مزار للعلماء والوزراء والسفراء والأعيان من داخل البلاد وخارجها، لما ذاع عنه من الذكر الحسن والسمعة الطيبة والكرم الجهم، وبيته مقر للضيوف على الدوام، ومكتبته مفتوحة للمراجعين والباحثين.

وكان لي - ولوالدي من قبلي - معه صلة متينة ومحبة مكينة، فإذا تأخرت عن زيارته مدة وجيزة بعث إليّ وسأل عني، وعندني كثير من رسائله المختصرة التي يبعثها مع خدمه إلى مقري في جدة، ولذا صارت وفاته مصيبة كبيرة عندي كما هي عند عامة الناس، وقد أصيب بوفاة ابنه حسين وعمر واحتسب الأجر عند الله تعالى، وقد خلف أحفاداً نجباء فضلاء منهم: الدكتور عبد الله بن عمر بن محمد نصيف مدير جامعة الملك عبد العزيز بجدة، وولادة الشيخ سنة ١٣٠٢هـ، ووفاته سنة ١٣٩١هـ رحمه الله تعالى.

وقد صدر كتاب ضخيم في سيرة الشيخ محمد نصيف.

وإنما سقنا هذا تبرئة له ولأمثاله من علماء نجد الذين مضى زمن طويل عليهم، وبعض إخواننا لا يحسنون الظن فيهم.

* وننقل هنا كلمات ثناء على علمه من بعض عارفيه :

قال الشيخ يوسف الهندي : (لم أر مثله في الاطلاع على الحديث إلاّ شيخي نذير حسين)، والشيخ نذير حسين هو محدث الهند الأول في زمنه .

وقال الشيخ محمد بن عبد العزيز آل مانع : (إنه أعجوبة في سعة الاطلاع في التفسير والحديث)، ويقول ابن مانع أيضاً : (إن الشيخ صالح العثمان آل قاضي يعجب من كثرة حفظه للحديث).

وقال الشيخ أمين الشنقيطي : (إنه أحفظ في الحديث من الشيخ شعيب المكي).

وقال عمّي الشيخ محمد بن صالح البسام : (إنني كنت أحضر دروسه العامة قبل صلاة العشاء، فكان يشرع في تفسير الآية ويورد في معناها من الأحاديث والآثار وكلام العرب شعراً ونثراً الشيء الكثير، وكان آية في علم الحديث رواية ودراية).

ومن ثناء العلماء عليه ما قاله عنه الشيخ عبد الرحمن السعدي : إنه كان يستحضر شرح النووي على مسلم، وقال الشنقيطي : إنه أعلم وأحفظ من لقيت بالحديث .

ومن أخبار المترجم ما حدّثني به الشيخ عبد الله بن جاسر، قال :

كنت حاجاً زمن الشريف الحسين فجئت أنا ورجل من أهل شقراء من آل عيسى يقال له: عبد الله، وأخذ أبو أحمد - الموجود الآن في مكة - فوقفنا على دكان الشيخ أبو بكر خوير وكان يوالي أهل نجد، ودكانه مكتبة، وكان عنده جالساً الشيخ إبراهيم بن جاسر وفي الأثناء جاء رجل جاوي وسأل عن - الفصوص لابن عربي - فقال أبو بكر عندي، فقال عبد الله بن عيسى: كيف يا شيخ أبو بكر خوير تبيع هذا الكتاب؟ فاعتذر بعذر غير وجيه، فأعاد عليه عبد الله بن عيسى بقوله: ألا تعلم أن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه، فقال: نستعين بثنمه على مشاغل الحياة، فقال له ابن عيسى: من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، فاستدرك عليه الشيخ إبراهيم بن عيسى بقوله: من ترك شيئاً اتقاء لله عوضه الله خيراً منه، كما ذكر ذلك ابن رجب في لطائف المعارف، فقال ابن عيسى: المعنى واحد، والشيخ إبراهيم بن جاسر لم يتدخل في الموضوع بين الإثنين. اهـ.

أعماله:

١ - ولي قضاء عنيزة من عام ١٣١٨هـ إلى عام ١٣٢٤هـ، وذلك في ولاية الأمير عبد العزيز بن رشيد، وذلك بطلب عبد الله العبد الرحمن البسام.

٢ - ولي قضاء بريدة عام ١٣٢٤هـ إلى عام ١٣٢٦هـ، وذلك في ولاية الإمام عبد العزيز بن سعود، وعرض عليه قضاء مدينة حائل،

ولكنه رفض ذلك، وكان كاتبه في قضاء (بريدة) ابن عيدان، والأمير في زمنه فهد بن معمر.

والذي اختار الشيخ إبراهيم بن جاسر لقضاء بريدة هم آل أبا الخيل حين نزعهم إمارة بريدة عن طاعة ابن سعود، فلما عاد ولاؤها إلى الملك عبد العزيز مرة أخرى، أشار عليه بعض أعيان البلدة باستبداله قاضياً بالشيخ ناصر بن سليمان آل سيف.

وبعد عزله من قضاء بريدة، طلب لقضاء الخميسية^(١) فلم يبادر بالسفر والإجابة، فلما ذهب إليها وجد الشيخ عبد المحسن أبا بطين قد عين فيها قاضياً فأراد القاضي التخلي عن القضاء ليكون مكانه معللاً ذلك بأنه أقدر منه، فلم يقبل، فجلس في الزبير حتى خرج منه إلى نجد عام ١٣٢٩هـ برفقة بعض أعيان البسام.

وللمترجم مواقف سياسية ثابتة ربطها بالدين، فإن الإمام عبد العزيز بن سعود لما استولى على بريدة، ولم يستول على القصر الذي فيه حامية ابن رشيد، ثم استمرت المعارك بين الإمام عبد العزيز والأمير عبد العزيز بن رشيد على القصيم بقي محافظاً على بيعته لابن رشيد في القصر، فلما قتل صاحب البيعة الأولى، دخل تحت بيعة الإمام عبد العزيز بن سعود، فلما نقض أهل بريدة بيعه الإمام

(١) الخميسية: قرية في لواء المتفق بين سوق الشيوخ والهور الكبير شمال نهر الفرات، نسبت إلى منشئها عبد الله بن خميس من أهل القصيبة إحدى قرى بريدة في القصيم.

عبد العزيز بن سعود بتدبير من محمد بن عبد الله بن مهنا بقي الشيخ محافظاً على بيعته للإمام عبد العزيز بن سعود، ولم يدخل فيما دخلوا فيه من نقض البيعة، مما يدل على أن مواقفه مبنية على قواعد ثابتة لا على أهواء سياسية ولا أطماع مادية.

٣ - تولى إمامة وخطابة الجامع الكبير في عنيزة، وكانت له دروس فيه.

تلاميذه:

قرأ عليه طائفة كبيرة من طلاب العلم نذكر بعض من نعرفه من مشاهيرهم:

- ١ - الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي.
- ٢ - الشيخ عثمان بن صالح آل قاضي.
- ٣ - الشيخ عبد العزيز بن عقيل.
- ٤ - الشيخ عبد الكريم بن صالح الصائغ.
- ٥ - الشيخ عبد العزيز الصالح البسام.
- ٦ - الشيخ عبد الله بن أحمد الرواف.
- ٧ - الشيخ عبد الله بن حسين أبا الخيل.
- ٨ - الشيخ صالح العثمان القاضي، وهو الذي ولي القضاء بعده.
- ٩ - ومحمد وعبد الرحمن الصالح البسام.
- ١٠ - ومحمد العثمان الجمل.
- ١١ - وإبراهيم الصالح القاضي.

١٢ - عبد الله المحمد الضراب .

١٣ - الشيخ صالح بن عبد العزيز بن عثيمين

.. وغير هؤلاء كثير ممن لا تحضرني أسماؤهم .

* ومزیداً للفوائد والتوثيق أختتم ترجمتي له بما ترجم له به الشيخ صالح بن عثيمين، حين قال: (الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر النجدي القصيمي البردي الحنبلي، الفقيه القاضي العالم العلامة، المحقق المدقق الفهامة، العمدة القدوة الأوحـد المنفرد الفذ حامل راية العلم، وقائد حلبة الفقه والفهم، المحدث النحرير الفقيه، الذي ليس له في عصره نظير، الواعظ الورع، الزاهد المثل الأعلى لكل فضيلة، المتجنب لكل رذيلة، ولد في بلد بريدة ونشأ بها في حجر والده، ثم قرأ القرآن فحفظه وأتقنه عن ظهر قلبه، ثم انبعثت همته إلى طلب العلم فأخذ عن علمائها في ذاك العصر، ثم رحل في طلب العلم إلى دمشق ومصر والعراق ومكة، وأخذ بها عن الشيخ شعيب المكي وأحمد بن عيسى وغير ذلك من البلدان، وبلغ الغاية القصوى في جميع العلوم، ثم رجع إلى بريدة ومعه ثروة كبيرة من الكتب المخطوطة والمطبوعة من الكتب العربية التي لا توجد عند غيره، فأخذ في نشرها وتخرج به عامة أهلها وانتفعوا به انتفاعاً تاماً، وأنجب تلامذة علماء أجلاء فضلاء عباداً زهاداً، وما ذلك إلا لحسن قصده فإن غالب علماء بريدة اليوم من تلامذته .

وولي القضاء ببريدة وبلد عنيزة، وكان مشكور السيرة في القضاء، لا يحابي أحداً، وكان قوالاً بالحق أماراً بالمعروف نهاءً عن

المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان على جانب عظيم من الزهد والورع والعبادة لا يستطيع أحد أن يصف ما كان عليه من ذلك إلا من رآه ورأى ما هو عليه من ذلك.

وكان سخيّاً جداً بحيث أنه يأتيه المال الكثير فلا تغرب شمس يومه ذلك إلا وقد فرقه بين تلامذته ومستحقّيه لا يدخر لنفسه شيئاً من ذلك، وكان ربما يأتيه الفقير يسأله فلا يجد ما يعطيه فيعطيه أحد ثيابه إذا كان عليه ثوبان، ووجد يوماً فقيراً في المسجد في الشتاء في شدة البرد وهو يرتعش من البرد فأعطاه عباءته التي على ظهره ورجع إلى بيته بدون عباءة، وكان محباً للفقراء والمساكين منبسطاً إليهم واصلاً لهم لين الجانب جداً، لا يخلو بيته يوماً من الفقراء، ولا يأكل طعامه وحده، بل يجتمع عليه من الخمسة إلى العشرين في كل وجبة.

ومع ذلك فإنه على كثرة ما يأتيه من الصدقات من البصرة والشام ومصر والعراق والحجاز وغيرها فإنه لما مات مات مديناً، فقد أخبرني أخوه عبد الله بن حمد الجاسر أنه مات مديناً بمبلغ قدره ثمانية آلاف ريالاً، فبيعت بذلك بعض كتبه الملكية، مع أن أكثر كتبه تهدي إليه موقوفة عليه وبعده على طلبة العلم من تلامذته، فبيعت بعض الكتب الملكية المذكورة بمبلغ يزيد على الرقم المذكور، وأوفي دينه منها وبقي الباقي لم يبع بعد.

وكان رحمه الله حاد الذهن جداً قوي الحافظة، إذا تكلم في مسألة ظن السامع أنه لا يعرف غيرها، فإنه إذا أخذ في التقرير واسترسل في

ذلك يقول السامع إنه قد جمع الله له علوم الأولين والآخرين بين عينيه يأخذ ما شاء ويدع ما شاء، وامتاز في معرفة فنون الحديث والتفسير والفقه والأصول مع مشاركته في غيرها من الفنون.

وبالجملة فهو الوحيد الذي لم تر عيني مثله بل لم ير هو مثل نفسه علماً وعملاً وزهداً وورعاً وصدعاً بالحق، ولو أردت جمع سيرته مما شاهدته وسمعته لمألت مجلداً كبيراً.

وكان رحمه الله سريع الدمعة غزيرها لا يستطيع الوعظ من البكاء، وكان القارئ عليه في أوقات الوعظ بعد العصر وبين العشاءين على عادة أهل نجد بتخصيص هذه الأوقات لوعظ العامة الشيخ صالح بن ناصر بن سيف في مسجد والده الشيخ ناصر بن سيف، فإذا مرّ القارئ المذكور بآية أو حديث فيه تخويف أو رجاء أخذ في البكاء والنحيب بحيث يقطع القارئ المذكور قراءته خشية أن يغمر عليه حتى يهدأ رحمه الله.

وبالجملة فقد كان فريد عصره ووحيد دهره، ومع هذا فقد ابتلي وامتنح وأوذى، ولم يمنعه ذلك عن القيام بواجب العلم من الصدع بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى توفاه الله تعالى.

وله رسائل وكتابات كثيرة في غاية التحقيق، ولقد رأيت له على كتاب «شرح دليل الطالب» للتغلبى كتابات، فقد ملأ حواشيه بقلمه النير المضبوط بالتحقيقات المهمة، التي لا يستطيع كتابتها غيره من ترجيح القول الأسعد بالدليل غير عابىء بما خالفه من أقوال الفقهاء،

مما يدل على أنه لا يأخذ إلا بما صح عنده دليله من كتاب أو سنة وعلى اطلاعه الواسع على أدلة المجتهدين رحمه الله .

وقد جمع رحمه الله من الكتب النافعة النادرة ما لم يجمعه عالم قبله في تلك البلد فيما علمت .

وقد انتقل رحمه الله من وطنه بريدة إلى حائل ، فلتقاه أهلها وأميرها بالإكرام وجلس مدة يسيرة ، ثم انتقل إلى بلد الكويت فلتقاه أهلها وأميرها مبارك الصباح بالإكرام أيضاً ، وكان مريضاً فطلب الأمير مبارك الصباح له الطبيب الموجود هناك وكان نصرانياً فأحضره لعلاج ، فعلم الشيخ أنه نصراني ، فامتنع الشيخ من ذلك وقال : لستم في حل من إدخاله علي ، فوافاه حمامه هناك ، فصلي عليه وشُيع بمحفل يفوق الوصف ، ودفن بالكويت ، وتأسف الناس عليه ، ورثي بمراثٍ كثيرة لا يسع المقام ذكرها ، وذلك في سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف ، رحمه الله وعفى عنه) . اهـ .

وفاته :

بعد عودته من العراق عام ١٣٢٩هـ أقام في بريدة يدرس ، فأصيب بمرض ، فسافر إلى الكويت للعلاج فأدرسته منيته في بلد الكويت عام ثمانية وثلاثين وثلاثمائة وألف ، وله من العمر سبع وتسعون سنة رحمه الله تعالى ، ودفن في الكويت .

وقد خلف ابنين : عبد الله وجاسر ، فالأول توفي وخلف ابنه محمداً كاتب الضبط بمحكمة بريدة ، وجاسر في مكة .

وقد رثاه الشيخ عبد الله بن خلف عالم الكويت بهذه المرثية،

فقال:

قف بالطلول وروّها بالأدمع	وقل العفا بعد العفاللأربع
واترك فؤادك يلتظي حيث الأسى	بين الجوانح في حشاً متصدع
فالخطب عمّ وهذه أرزاؤه	غشت البلاد بما بها من موجد
أو ما مررت من العلوم وخلتها	لفراق من تهوى بأمرٍ مفضّع
أو ما رأيت لدن دريت لحالها	حي الفؤاد بهيئة المتفجّع
إذ بان من تهوى وأوهى ركنها	بين يقول لطرفها لا تهجع
قد مات حبر العلم إنسان العلا	بحر المعارف خير شيخ أروع
بحر العلوم أخو الديانة والتقى	كهف الأرامل واليتامى الرضع
الشيخ إبراهيم ينبوع الهدى	ذو المكرمات وذو المقام الأرفع
هو ابن جاسرٍ الهمام المرتضى	طود الشريعة ذو العلوم النفع
العابد الأواه مصباح الدجى	بدر الدُّجَنّة قدوة المتخشع
لم تلقه الأسحار إلّا قائماً	في الساجدين وفي الهداة الركع
ومواسم الأيام تشهد صومه	كمجامع للعلم ذات تنوع
يملي على الطلاب جمّ فوائدٍ	عن غير هذا الحبر ذات تمنع
ولقد سما بالعلم من فوق السهى	ومضى لحق العلم غير مضيع
إن الفضائل شققت لجيوبها	أسفاً عليه بأنّةٍ وتوجع
والعلم بات بعبرةٍ مهراقةٍ	حيث ابن جاسر المحدث قد نعي
هذا كتاب الله يبكي فقده	والسنة الغراء ذات تفجع

والفقه ذاق لموته مرّ الأسى
من ذا يفسر أو يحدث بعده
من ذا يدرس فقها وينيره
ووسائلٌ للعلم يجري دمعها
لا غرو أن يبكي ويندبه التقى
إن يجهل الأقوام يوماً قدره
يا عين فابكِ مثل ما بكت العلى
خلت المنازل والمدارج بعده
وخبا بنا العلم الصحيح وأظلمت
خفيت على النساك أعلام الهدى
بعد ابن جاسر الذي من هديه
في الدين فقد الشيخ أعظم ثلّة
لهفي عليه ولهف كل فضيلة
لهفي عليه ولهف كل مزية
لهفي عليه وفقده أضلّى الحشا
لهفي عليه وما حوى من مفخر
لهفي على ركب العبادة قد وهى
يا قلب صبراً فالنوائب جمّة
يا قلب صبراً قد جرى حكم القضا
هجم المنون ومات أستاذ الورى

من ذا سواء لمغني ولمقنع
في كتبه والأمهات اللمع
بأدلة تهدي لذاك المهيع
كمقاصدٍ من غيره لم تسمع
فربوعه من بعده كالبلقع
فالكنز يجهله سوى المتطلع
كنز الفضائل والهمام الألمي
للسائرين إلى الجناب الأرفع
تلك المشاهد بعد ذاك الأنفع
بعد ابن جاسر حبرنا المتضلع
نفع الورى ونصيحة لم تقطع
ما إن تسد وخرقها لم يرقع
تبكي عليه ورتبة لم ترقع
غراء بعد من الجوى لم تهجع
ناراً تذيب وغلة لم تنقع
في العلم والتقوى وحفظٍ أوسع
وكذا الزهادة بعد ذاك الأورع
من ذا رأيت من الورى لم يفجع
ما إن يرد جزعت أو لم تجزع؟!
ومضى النصيح بنصح المتضوّع

واستبشرت بالشيخ سكان الثرى ومضى حميداً نحو قبرٍ أوسع
فلك الهنا والجود قبراً ضمه فلقد ضمنت لكل خيرٍ أجمع
لله أنت فقد ثوى فيك العلا والعلم والتقوى وأبهى مودع
دامت عليك على المدى سحب الرضا

أبدأ تجود وصوبها لم يقلع
يسقي ثراك من المراحم وبلها
يا راحلاً عنا إلى دار البقا
كسحائبٍ من عفو ربي همع
بعد التفرق هل لنا منك التّقا
لله درك من حبيب مزعم
نرجو لقاك مع اللقاء بصحبنا
فلنا الهنا بالملتقى بالطّيع
وسط الجنان بمحض جود المبدع
يا معشر الإخوان من أهل الصفا
طلاب هذا الحبر عذب المشرع
وصحابه الأخيار من أهل الوفا
ادعوا لشيخكم الجليل الأخشع
وتذاكروا ما قد علمتم تحمدوا
أمر العواقب يا بدور المجمع
فالشيخ مات وكلنا رهن الفنا
قضي القضاء فما له من مدفع
يا رب فارحم كل أن شيخنا
أبدأ وأنس شيخنا في المضجع
يرجى له الحسنى بطيب موضع
وبمقعدٍ للصدق حقق أرّخه

* * *